وكان أخاه مِن الرضاعة، لم يأمر النبيُّ ﷺ بقتله حياءً مِن عثمان، ولم يُبايعه ليقوم إليه بعضُ أصحابه فيقتله، فهابُوا رسولَ الله ﷺ أن يُقْدِمُوا على قتله بغير إذنه، واستحيى رسولُ الله ﷺ من عثمان، وساعدَ القدرُ السَّابقُ لما يريد الله سبحانه بعبد الله مما ظهر منه بعد ذلك من الفتوح فبايعه، وكان ممن استثنى الله بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَروا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُم البَيِّنَاتُ واللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٦ ــ ٨٩]، وقوله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَن تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»، أي: أن النبي ﷺ لا يُخالِفُ ظاهِرُه باطِنَه، ولا سِرُّه علانِيتَه، وإذا نفذ حكمُ اللَّهِ بأمرُه، لم يُومِ به، بل صرَّحَ به، وأعلَنه، وأظهره.

فصـــل
في غزوة حنين[1] وتُسمى غزوةَ أوطاس

وهما موضعان بينَ مكة والطائف، فسُمِّيت الغزوةُ باسم مكانها، وتُسمى غزوةَ هَوازن، لأنهم الذين أتَوْا لقتال رسول اللَّهِ ﷺ.

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازنُ برسولِ الله ﷺ، وما فتح اللَّهُ عليه مِن مكة، جمعها مالكُ بنُ عوف النَّصْري[2]، واجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كُلُّها، واجتمعت إليه مُضَرُ وجُشَمُ كُلُّها، وسعدُ بن بكر، وناسٌ مِن بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عَيلان إلا هٰؤلاء، ولم يحضُرْهَا مِن هَوازِن كعبٌ، ولا

---

(١) انظر خبرها في ابن هشام ٢/٤٣٧، ٥٠٠، وابن سعد ٢/١٤٩، ١٥٨، والطبري ٣/١٢٥، وابن سيد الناس ٢/١٨٧، وابن كثير ٣/٦١٠، ٦٥١، و«شرح المواهب» ٣/٥، ٢٨.

(٢) بالصاد المهملة نسبة إلى جده الأعلى نصر بن معاوية، أسلم بعد غزوة الطائف، وصحب وشهد القادسية وفتح دمشق.

كِلاب، وفي جشم دريدُ بنُ الصِّمة شيخ كبير ليس فيه إلا رأيُهُ ومعرفتُه بالحرب، وكان شجاعاً مجرَّباً، وفي ثقيف سيِّدَانِ لهم، وفي الأحْلاف قاربُ بن الأسود، وفي بني مالك سُبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصري، فلما أجمع السيرَ إلى رسول الله ﷺ، ساق مع الناس أموالَهم ونساءَهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس، اجتمع إليه الناسُ وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمة، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأَوطاس. قال: نِعْمَ مَجَالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضِرْس، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ[1]، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصبي، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالِكُ بن عوفٍ مع الناسِ نِساءَهُم وأموالَهم وأبناءهم. قال: أَيْنَ مالك؟ قيل: هذا مالك، ودُعي له. قال: يا مالك إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك، وإن هذا يومٌ كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشاء؟!. قال: سقتُ مع الناس أبناءهم، ونساءَهم، وأموالَهم. قال: ولِمَ؟ قال: أردت أن أجعل خلفَ كُلِّ رجل أهلَه وماله ليقاتل عنهم. فقال: راعي ضأنٍ[2] واللَّهِ، وهل يردُّ المنهزمَ شيء، إنها إن كانت لك لم ينفعْك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليكَ، فُضِحْتَ في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكِلاب؟ قالوا: لم يشهدْها أحدٌ منهم. قال: غاب الحَدُّ[3] والجِدُّ، لو كان يوم علاءٍ ورِفعة، لم تَغِبْ عنه كعبٌ ولا كِلاب، ولَوَدِدْت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر؟ قال: ذَانِكَ الجَذَعَانِ[4] من عامر، لا ينفعان ولا يضران. يا مالك! إنك لم تصنع بتقديم البيضةِ بيضةِ هوازن

---

(١) الحزن: ما ارتفع من الأرض، والضرس: الذي فيه حجارة محددة، والدهس: ما سهل ولان من الأرض، ولم يبلغ أن يكون رملاً.

(٢) يجهله بذلك كما قال الشاعر:

أصبحت هزءاً لراعي الضأن أعجبه ... ماذا يريبك مني راعيَ الضأنِ

(٣) الحد: النشاط والسرعة والمضاء في الأمور.

(٤) يريد: أنهما ضعيفان في الحرب بمنزلة الجذع في سنه.

إلى نحورِ الخيل شيئاً، ارفعهم إلى مُتمنَّع بلادهِم وعُليا قومهم، ثم الق الصُّباة[١] على متون الخيل، فإن كانت لك، لحقَ بك مَنْ وراءَك، إن كانت عليك، ألْفاك ذٰلك، وقد أحرزتَ أهلك ومالك. قال: واللّٰهِ لا أفعلُ، إنك قد كَبِرْت وَكَبِرَ عقلُكَ، واللّٰهِ لتُطيعُنَّني يا معشَرَ هوازن، أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرُجَ مِن ظهري، وكره أن يكون لِدُريد فيها ذِكر ورأي، فقالوا: أطعناك، فقال دُريد: هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْني.

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ ... أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ

أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ ... كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ[٢]

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتمُوهم فاكسروا جُفون سيوفكم، ثم شُدُّوا شدةَ رجل واحد، وبعث عيوناً مِن رجاله، فأتَوْه وقد تفرَّقت أوصالُهم، قال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رِجالاً بيضاً على خيل بُلقٍ، واللّٰهِ ما تماسكنا أن أصابَنَا ما ترى، فواللّٰهِ ما ردَّه ذلك عن وجهه أن مَضَى على ما يُرِيدُ.

ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ، بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَدٍ الأسلمي، وأمره أن يدخُل في الناس، فيُقيم فيهم حتى يعلَم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم حتى سمعَ وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسَمعَ مِن مالك وأمر هوازن ما هُم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسولُ اللّٰهِ ﷺ السير إلى هوازن، ذُكِرَ له أن عند صفوان بنِ أمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه، وهو يومئذ مشرك، فقال: يا أبا أمية! أعِرْنا سِلاحك

---

(١) جمع صابي غير مهموز كقاض وقضاة، وهم المسلمون عندهم، كانوا يسمونهم بهذا الاسم، لأنهم صبؤوا من دينهم، أي: خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام.

(٢) الجذع: الشاب، وأخب وأضع: ضربان من السير، والوطفاء: طويلة الشعر، والزمع: الشعر فوق مربط قيد الدابة يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل، والشاة هنا: الوعل، وصدع أي: وعل بين وعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير.

هذا نلقى فيه عدونا غداً، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: «بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ»[1]، فقال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة دِرع بما يكفيها مِن السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيَهم حملها، ففعل.

ثم خرج رسولُ الله ﷺ معه ألفان مِن أهل مكة، مع عشرة آلاف مِن أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، وكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل عتَّابَ بن أسيد على مكة أميراً، ثم مضى يُريد لقاء هوازن.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حنين، انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوفَ حَطُوط[2]، إنما ننحدر فيه انحداراً. قال: وفي عَماية الصبح، وكان القومُ سبقونا إلى الوادي، فكَمَنُوا لنا في شِعابه وأَحْنائه ومضايقه، قد أجمعوا، وتهيؤوا، وأعدوا فوالله ما راعنا ــ ونحن منحطُّون ــ إلا الكتائبُ، قد شدُّوا علينا شَدَّةَ رجل واحد، وانشمر الناسُ راجعين لا يَلْوِي أحدٌ منهم على أحد، وانحاز رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمين، ثم قال: «إلى أَيْنَ أَيُّها النَّاسُ؟ هَلُمَّ إِليَّ أنا رَسُولُ الله أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، وبقي مع رسول الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بيته، وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه، والفَضل بن العباس، وربيعةُ بن الحارث، وأسامةُ بن زيد، وأيمن ابن أم أيمن، وقُتِلَ يومئذ. قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رُمح طويل أمامَ هوازن، وهوازنُ خلفه، إذا أدرك، طعن برمحه، وإذا فاته الناسُ، رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينا هو كذلك

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الحاكم ٣/ ٤٨، والبيهقي ٦/ ٨٩ من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، وهذا سند صحيح، وله طريق آخر أخرجه أبو داود (٣٥٦٢) وأحمد ٣/ ٤٠١ و ٦/ ٤٦٥، والحاكم ٢/ ٤٧ والبيهقي ٦/ ٨٩، وهو حسن في الشواهد.

(٢) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز، وأجوف: متسع، وحطوط: منحدر.

إذ أهوى عليه علي بن أبي طالب، ورجل من الأنصار يُريدانه، قال: فأتى علي مِنْ خَلْفِهِ، فضرب عرقوبي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاريُّ على الرجل، فضربه ضربةً أطن قدَمه بنصف ساقه، فانجعفَ عن رحله، قال: فاجتلد الناسُ. قال: فوالله ما رجعت راجعةُ الناس مِن هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى عند رسول الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المسلمون، ورأى مَن كان معَ رسول الله ﷺ مِن جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلَّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضِّغنِ، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتُهم دونَ البحر، وإن الأزلامَ لمعه في كِنانته، وصرخ جَبَلة بن الحنبل ــ وقال ابن هشام: صوابه كَلَدَة ــ: ألا بطل السِّحْرُ اليوم، فقال له صفوانُ أخوه لأمه وكان بعدُ مشركاً: اسكت فضَّ اللَّهُ فاك، فوالله لأن يَرُبَّني رَجُلٌ مِن قريش، أحبُّ إليَّ من أن يربَّني رجلٌ مِن هوازن[2].

وذكر ابنُ سعد عن شيبة بن عُثمان الحَجَبي، قال: لما كان عامُ الفتح، دخل رسول الله ﷺ مكة عَنوة، قلت: أسيرُ مع قريش إلى هوازن بحُنين، فعسى إن اختلطوا أن أُصيب مِن محمد غِرَّة، فأثأرَ منه، فأكون أنا الذي قمتُ بثأر قريش كُلِّها، وأقولُ: لو لم يبقَ مِن العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً، ما تبعتُه أبداً، وكنت مُرْصداً لما خرجتُ له لا يزدادُ الأمر في نفسي إلا قوةً، فلما اختلط الناسِ، اقتحمَ رسولُ الله ﷺ عن بغلته، فأصلت السيف، فدنوتُ أريدُ ما أريدُ منه، ورفعتُ سيفي حتى كِدتُ أشعره إياه، فرُفعَ لي شُواظٌ مِن نار كالبرق كاد يمحشُني، فوضعتُ يدي على بصري خوفاً عليه، فالتفتَ إلي رسول الله ﷺ، فناداني: «يَا شَيْبُ ادْنُ مِنِّي» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَمَسَحَ صَدْرِي، ثم قال: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ الشَّيْطَانِ» قال: فواللَّهِ لهو كان ساعتَئِذٍ أحبَّ إليَّ مِنْ

---

(١) أخرجه ابن هشام ٢/٤٤٢، ٤٤٥، وسنده صحيح.

(٢) ابن هشام ٢/٤٤٣، ٤٤٤.

سمعي، وبصري، ونفسي، وأذهبَ اللَّهُ ما كان في نفسي، ثم قال: «ادْنُ فقاتلْ»، فتقدمت أمامَه أضربُ بسيفي، الله يعلمُ أني أحب أن أقيَه بنفسي كُلَّ شيء، ولو لقيتُ تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعتُ به السيف، فجعلت ألزمُه فيمن لزمه حتى تراجعَ المسلمون، فكرُّوا كرةَ رجل واحد، وقُرِّبَتْ بغلةُ رسولِ الله ﷺ، فاستوى عليها، وخرج في أثرهم حتى تفرَّقوا في كُلِّ وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خِباءه، فدخلتُ عليه، ما دخل عليه أحدٌ غيري حباً لرؤية وجهه، وسروراً به، فقال: «يا شَيْبُ! الذي أرادَ اللَّهُ بكَ خَيْرٌ ممَّا أَرَدْتَ لِنَفْسِكَ»، ثم حدثني بكلِّ ما أضمرتُ في نفسي ما لم أكن أذكره لأحد قط، قال: فقلتُ: فإني أشهدُ أن لا إله إلا اللَّهُ، وأنكَ رسولُ الله ﷺ، ثم قلت: استغفر لي. فقال: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ»[1].

وقال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إني لمعَ رسولِ الله ﷺ آخذٌ بِحَكَمَةِ بغلته البيضاء، قد شَجَرْتُها بها، وكنت امرءاً جسيماً شديدَ الصوت، قال: رسُولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «إِلى أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟» قال: فلم أرَ الناس يَلْوُون على شيء، فقال: «يا عَبّاسُ اصْرَخْ: يا مَعْشَر الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَاب السَّمُرَةِ»، فأجابوا: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. قال: فيذهبُ الرجلُ ليثني بعيرَه، فلا يقدِرُ على ذٰلك، فيأخذ دِرعه فيقذفها في عُنُقه، ويأخذ سيفَه وقوسه وتُرسَه، ويقتحِمُ عن بعيره، ويخلي سبيلَه، ويؤم الصوت حتى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلُوا النَّاس، فاقتتلُوا فكانت الدعوة أوَّلَ ما كانت: يا للأنصار، ثم خلصت آخراً: يا للخزرج، وكانوا صُبُرَاً عند الحرب، فأشرف رسولُ الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مُجْتَلَدِ القومِ، وهم يَجْتَلِدُونَ، فقال: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ»[2] وزَاد غيره.

---

(١) انظر «الإصابة» ت ٣٩٤٠.

(٢) أخرجه ابن هشام ٢/٤٤٤، ٤٤٥ عن ابن إسحاق وسنده صحيح، والشعر في =

أنـا النَّبِـيُّ لا كَـذِبْ   أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وفي «صحيح مسلم»: ثم أخذ رسولُ الله ﷺ حَصيَاتٍ، فرمى بها. في وجوه الكُفَّارِ، ثم قال: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»، فما هو إلا أن رماهم، فما زِلْتُ أرى حَدَّهُم كليلاً، وأمَرهم مُدْبِراً[١].

وفي لفظ له: إنه نزل عن البغلة، قم قبضَ قَبضة مِن تُراب الأرض، ثم استقبل بها وجوهَهم، وقال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فما خلق اللّهُ منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين[٢].

وذكر ابن إسحاق عن جُبير بن مطعم، قال: لقد رأيت ــ قبل هزيمةِ القوم، والناس يقتتلون يومَ حُنينٍ ــ مثلَ البَجادِ الأسود، أقبل مِن السماء حتى سقط بيننا بينَ القوم، فنظرتُ فإذا نمل أسودُ مبثوث قد ملأ الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فلم أشك أنها الملائكة.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف، ومعهم مالكُ بن عـوف، وعسكـر بعضُهـم بـأوطـاس، وتـوجَّـه بعضُهـم نحـو نخلـةَ، وبعـثَ رسولُ اللّهِ ﷺ في آثار من توجّه قِبل أوطاس أبا عامر الأشعريَّ، فأدركَ مِن الناس بعضَ من انهزم، فناوشُوه القِتَال، فَرُمِي بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن أخيه فقاتلهم، ففتح الله عليه، فهزمهم اللّهُ، وقتل قاتل أبي عامر، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لعُبَيْدٍ أبي عَامِرٍ وَأَهْلِه، واجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ» واستغفر لأبي موسى[٣].

= البخاري ٨/ ٢٤، ومسلم (١٧٧٦).

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٥) في الجهاد: باب غزوة حنين. وعبد الرزاق (٩٧٤١) وأحمد ١/ ٢٠٧ والحاكم ٣/ ٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٣) «سيرة ابن هشام» ٢/ ٤٥٤، ٤٥٥؛ وأخرجه البخاري ٦/ ٦٠ في الجهاد: باب

ومضى مالكُ بن عوف حتى تحصَّن بحصن ثقيف، وأمر رسولُ الله ﷺ بالسَّبْي والغنائم أن تُجْمَعَ فَجُمِعَ ذٰلِكَ كُلُّهُ، ووجهوه إلى الجِعْرَانَةِ، وكان السَّبيُ ستةَ آلاف رأس، والإبلُ أربعةٌ وعشرين ألفاً، والغنم أكثرَ من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، فاستأنى بهم رسولُ الله ﷺ أن يقدَموا عليه مسلمين بِضْعَ عشرة ليلة.

أعطى ﷺ المؤلفة قلوبهم أول الناس منهم أبو سفيان وحكيم بن حزام

ثم بدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفةَ قلوبُهم أوَّلَ الناس، فأعطى أبا سفيان بنَ حرب أربعين أوقية، ومائةً من الإبل، فقال: ابني يزيد؟ فقال: «أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً وَمائةً مِنَ الإبل»، فقال: ابني معاوية؟ قال: «أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَمِائَةً من الإبل»، وأعطى حكيم بن حِزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه، وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين، وذكر أصحاب المائة ــ وأصحاب الخمسين ــ وأعطى العباسَ بن مرداس أربعين، فقال في ذلك شعراً، فكمل له المائة.

ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاءِ الغنائم والناس، ثم فضَّها على الناس، فكانت سهامهُم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعينَ شاة. فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً وعشرين ومائة شاة.

إرضاؤه ﷺ الأنصار

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى مِن تلك العطايا في قريش، وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كَثُرت فيهم القالةُ، حتى قال قائلُهم: لقي واللَّهِ رسولُ الله ﷺ قومَه، فدخل عليه سعدُ بنُ عبادة، فقال: يا رسول الله! إن هذا الحيَّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لِما صنعتَ في هذا الفيءِ الذي

= نزع السهم من البدن، و ٨/ ٣٤، ٣٥، ومسلم (٢٤٩٨) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين.

أصبتَ، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عِظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيء. قال: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ يَا سَعْدُ» قال: يا رسولَ الله! ما أنا إلا مِن قومِي. قال: فاجْمَعْ لي قَومَكَ في هٰذِهِ الحَظِيرَةِ؟ قال: فجاء رجالٌ من المهاجرينَ، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا، أتى سعدٌ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار، فأتاهم رسولُ الله ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار مَا قَالَةٌ بَلَغَتْني عَنْكُم، وجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا في أَنْفُسِكُم، أَلَمْ آتِكُم ضُلاَّلاً فهَدَاكُم اللَّهُ بي، وعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بي، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبكُم؟» قالوا: الله ورسولُه أمنُّ وأفضلُ. ثم قال: «أَلاَ تُجِيبُوني يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟ قالوا: بماذَا نجيبُك يا رسولَ اللَّه، لِلَّهِ ولِرسُولِه المنّ والفَضْلُ. قال: «أَمَا واللَّهِ لَوْ شِئْتُم، لَقُلْتُم، فَلَصَدَقْتُم ولَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فآوَيْنَاكَ، وعائِلاً فآسيناكَ، أوجَدْتم عليَّ يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ في أَنْفُسِكُم في لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قوماً لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُم إِلىٰ إِسْلاَمِكُم، ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاء والبَعِيرِ، وتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إلى رِحالِكم، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُون بِهِ خيرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرءاً مِن الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً وَوَادِياً، وسَلَكَت الأنصار شِعْباً وَوَادِياً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ ووادِيها، الأنصارُ شِعَارٌ، والنَّاسُ دِثارٌ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأَنْصار» قال: فبكى القومُ حتَّى أخضلُوا لِحاهم، وقالوا: رَضِينَا برسُولِ الله ﷺ قَسْمَاً وحظاً، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ وتفرقوا[1].

قدوم أخته ﷺ من الرضاعة

وقدمت الشَّيماءُ بنت الحارث بن عبد العُزى أختُ رسولِ الله ﷺ من

(١) إسناده صحيح، وهو في «سيرة ابن هشام» ٢/٤٩٨، ٤٩٩، و «المسند» ٣/٧٦ عن ابن إسحاق، وفي الباب عن عبد الله بن زيد عند البخاري ٨/٣٨، ٤٢، ومسلم (١٠٦١) وأحمد ٤/٤٢.

الرّضاعة، فقالت: يا رسول الله! إني أختُك مِن الرضاعة، قال: وما علامَةُ ذلك؟ قالت: عضَّةٌ عَضَضتنيها في ظهري، وأنا متورِّكَتُك. قال: فعرف رسولُ الله ﷺ العلامة، فبسط لها رِداءَهُ، وأجلسها عليه وخيَّرها، فقال: «إنْ أحْبَبْتِ الإقامَةَ فَعِنْدِي مُحَبَّبَةٌ مُكَرَّمَةٌ، وإنْ أحْبَبْتِ أنْ أمتِّعَكِ فَتَرْجِعي إلى قَوْمِكِ»؟ قالت: بل تُمَتِّعني وتردُّني إلى قومي، ففعل، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غُلاماً يقال له: مكحول وجارية، فزوجت إحداهما مِن الآخر، فلم يزل فيهم مِن نسلهما بقية. وقال أبو عمر: فأسلمت، فأعطاها رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أعبد وجارية، ونعماً، وشاءً، وسماها حذافة. وقال: والشيماء لقب[1].

فصل

قدوم وفد هوازن

وقدم وفد هوازنَ على رسول الله ﷺ، وهم أربعةَ عشر رجلاً، ورأسُهم زهيرُ بن صرد، وفيهم أبو بُرقان عمُّ رسول الله ﷺ مِن الرضاعة، فسألوه أن يَمُنَّ عليهم بالسَّبْي والأموال، فقال: «إنَّ مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وإنَّ أحَبَّ الحَدِيث إليَّ أَصْدَقُهُ، فَأَبْنَاؤُكُم ونِساؤُكُم أَحَبُّ إلَيْكُم أمْ أَمْوَالُكُمْ؟» قالوا: ما كنا نعدِلُ بالأحساب شيئاً. فقال: إذا صَلَّيْتُ الغَدَاةَ فَقُومُوا فقولوا: إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى المُؤْمِنينَ، وَنَسْتَشْفِعُ بِالمُؤمنين إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْنَا سَبْيَنَا»، فلما صلَّى الغداة، قاموا فقالُوا ذٰلِكَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أمَّا مَا كَانَ لي ولبني عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَهُوَ لَكُمْ، وَسَأَسْأَلُ لَكُمُ النَّاسَ»، فقال المهاجِرُونَ والأنصار: ما كان لنا فهو لِرسول اللَّهِ ﷺ، فقال الأقرعُ بنُ حابس: أما أنا وبنو تميم، فلا، وقال عُيينة بن حِصن: أما أنا وبنو فَزارة فلا. وقال العباسُ بنُ مرداس: أما أنا وبنُو سليم، فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا، فهو لرسول الله ﷺ، فقال العباسُ بنُ مرداس: وهَّنتموني، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ هٰؤُلاء القَوْمَ قَدْ جَاؤُوا مُسْلِمِينَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ سَبْيَهُم، وقَد خَيَّرْتُهم، فَلَمْ

---

(١) ابن هشام ٢/٤٥٨ عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبيد السعدي، ورجاله ثقات لكنه منقطع، وانظر «أسد الغابة» (٧٠٤٩) و «الإصابة» ٤/٣٣٥.